آراء علماء الاجتماع في بعض الظواهر اللغويّة – دراسة نقديّة

أ.م.د. قصي سمير عبيس العزاوي
كلية الإمام الكاظم (ع)/ أقسام بابل

The views of sociologists in certain linguistic phenomena are critical

Ass. Prof. Dr. Qusai Sameer Obays
College of Imam Al-Kadhim\ Babylon

Abstract

There is no doubt that Arabic language is the tool by which the society communicates and talks. Linguists have confirmed that it associates with sociology to meet the individuals' needs and hence we can say that language is a social phenomenon and a ring in the chain of social activities. Any observer can find that there is a huge difference between linguists and sociologists as the relationship is inconsistent and everyone criticizes the other as well as each group accuses the other inappropriately. Therefore, the idea of this research has been created to put the light on some linguistic phenomena dealt by sociologists.

I have divided the research into two topics. In the first topic, I have dealt with the sociolinguists' objections to Arabic Language Characteristics as well as stating and criticizing the irregularities scientifically. In the second topic, I have mentioned controversial matters in Arabic Grammar and disagreed with some opinions adopted by some sociologists and finally concluded the research with a conclusion in which I have stated findings reached by the research.

Keywords: language, social, tandem, words, meanings, contradiction, perception, conscience, tendencies.

الملخص

مما لا شك فيه ولا ريب أن اللغة العربية بِنت المجتمع الناطق بها، وقد أكّد علماء اللغة على ارتباطها بعلم الاجتماع؛ وذلك لتلبية حاجات الأفراد، ومن هنا نستطيع القول بأن اللغة تعدُّ ظاهرة اجتماعية، وحلقة في سلسلة النشاط الاجتماعي، والمنعم للنظر يجد أن هناك بونًا شاسعًا بين علماء اللغة، وبين علماء الاجتماع فالعلاقة غير منسجمة فكلٌّ واحدٍ منهم ينتقد الآخر، وكل فئة تتجرأ على الأخرى وتتهمها اتهامات غير مناسبة، ومن هنا تولدت فكرة هذا البحث؛ لأسلط الضوء والنقد على بعض الظواهر اللغوية التي تناولها علماء الاجتماع، فقسمت البحث على مبحثين، تناولت في المبحث الأول: مآخذ علماء الاجتماع على خصائص اللغة العربية وبينت موارد المخالفات فضلاً عن نقد المخالفات بأدلة علمية، أما المبحث الثاني فقد ذكرت مسائلًا خلافية في النحو العربي، وخالفت بعض الآراء التي تبناها بعض علماء الاجتماع، وختمت البحث بخاتمة بينت فيها النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الاجتماعي، ترادف، الفاظ، معاني، تناقض، الإدراك، الوجدان، النزوع.

المقدمة

تعد اللغة من أهم الأمور الفطرية التي تلبي حاجات الإنسان على مر العصور، فقد نشأت باتفاق جمعي نتيجة حاجات الأفراد فيما بينهم، والمتأمل في فهم اللغة يجد أنها بنت المجتمع الناطق بها في الزمكانية؛ لأنها تعبر عن إرادته وفكره، فضلاً عن تناولها الجانب الحيوي وهو التفاعل والتواصل، وهذه النظرة الاجتماعية إلى اللغة أكدها ابن جني(ت٣٩٢هـ) بقوله: « أصوات يعبَّر بها كل قوم عن أغراضهم»[١]، وهذا المعنى ذكره أحد المحدثين بقوله: « لنبدأ نعتبر الإنسان ليس مفصولا عن العالم الخارجي الذي يعيش فيه، إنه ليس إلاّ جزءاً منه ... فكلامك ليس مجرد تحريك اللسان أو اهتزاز في الحنجرة، إنه أكثر من ذلك نتيجة لعمل العقل في تأدية وظيفته كمدير للعلاقات، لتحفظ عليك سيرك في المحيط الذي تعيش فيه»[٢]. ولذلك أطلق العلماء تسمية هذا اللون من العلم بعلم اللغة

[١] الخصائص: ٣٣/١.
[٢] مقدمة لدراسة فقه اللغة: ٢٨.

الاجتماعي وخصصوه بدراسة اللغة في علاقاتها بالمجتمع، وينتظم كل جوانب اللغة وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية.

وقد أكّد علماء اللغة على ارتباط اللغة بعلم الاجتماع، ومن هؤلاء: الخليل (ت١٧٥هـ) والجاحظ (ت٢٥٥هـ) وابن جني (ت٣٩٢هـ) من القدماء، ومن المحدثين العرب: إبراهيم مصطفى، وتمام حسان كمال بشر، ومن الغربيين سوسير ومابيه وفندريس وفيرث وهاليداي ومالينوفسكي ويسبرسن وفلمور وهاريس وكاردنر وغيرهم. وقد ساعد هذا العلم على حل كثير من مشكلات التعليم والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة لما للغة من دور فاعل في الإفصاح عن العلاقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع فضلاً عن أهميته الفاعلة في دراسة وسائل الاتصال المختلفة على أساس أن الاتصال هو الوسيلة الهامة التي تنقل بها الحضارة من جيل إلى جيل[١]. ولعلّ أول تعريف مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم الاجتماع هو تعريف ابن جني عندما عرّف اللغة بأنّها: « أصوات يعبَّر بها كل قوم عن أغراضهم»[٢]، وهنا إشارة إلى أننا نتعلم اللغة عن طريق السماع، وليس الكتابة، ولهذا قال رائد علم الاجتماع الأول ابن خلدون: «السمع أبو الملكات اللسانية»[٣]. والسمع يحتاج الى تواصل مع الافراد للتعبير عن حاجاتهم وأغراضهم، ومن هنا لا يمكن فهم اللغة بمعزل عن المجتمع الناطق بها. ومن هنا تتضح أهمية علم الاجتماع وتأثيره على اللغة، فالمواقف اللغوية تكمن في الاستجابات التي تصدر عن الافراد تجاه الحالات الاجتماعية، وقد حدد بعض العلماء ثلاثة أركان لهذه المواقف وهي: العنصر الإدراكي (المعرفة)، والعنصر الوجداني (الإحساس)، والعنصر النزوعي (الإرادي)[٤].

المبحث الأول

مآخذ علماء الاجتماع على خصائص اللغة العربية

مما لا شك فيه ولا ريب أن العلاقة بين اللغة العربية، وعلم الاجتماع علاقة منسجمة وكل واحد مكمل للآخر، فاللغة مرتبطة بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا، ونستطيع القول بأن علم اللغة يعدُّ ظاهرة اجتماعية، وحلقة في سلسلة النشاط الاجتماعي، لكن المتأمل في الآراء بين علماء اللغة، وعلماء الاجتماع يجدها آراءً مختلفة بعض الشيء، فكل واحد منهما ينتقد الآخر، وكل فئة تتجرأ على الأخرى وتتهمها باتهامات غير مناسبة. ويرى الباحث السبب في ذلك أن كلَّ واحدٍ منهما يرى الآخر بأنه عيال على تخصصه، ومن ذلك قول الدكتور محيي الدين عالم اللغة وشاعرها منتقدًا عالم الاجتماع الدكتور علي الوردي: « لماذا لا تتدخل فيما لا يعنيك وتخوض في موضوع لست مختصًّا فيه»[٥]. وينقد الدكتور علي الوردي أهل اللغة بقوله: «لا بأس أن ينتقد الكاتب موضوعًا ليس من اختصاصه على شرط أن يعلم عنه شيئًا يخوله ذلك فلا يلقي الكلام في جزافًا»[٦]. ولعلّ من أهم المآخذ التي ذكرها علماء الاجتماع على اللغويين هي خصائص اللغة العربية، إذ يرى بعض علماء اللغة أن هذه الخصائص من المحاسن التي تتماز بها اللغة العربية عن سواها من اللغات لأخرى، ويرى علماء الاجتماع خلاف ذلك، إذ وقفوا من الضد منها فجعلوها من المساوئ التي يعاني منها الناطق بها، ومن أهم هذه الخصائص التي انتقدوها:

١- ظاهرة الترادف: عرّف الترادف بأنّه: «هو: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد»[٧]، وعرفه الجرجاني (ت٨١٦هـ) في كتابه (التعريفات) بقوله «المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك، أخذ من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه كالليث والأسد...»[٨] ويطلق أولمان على التَّرادف مصطلح مدلول واحد –

---

[١] ينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب: ٣٦.
[٢] الخصائص:٣٣/١.
[٣] مقدمة ابن خلدون:٣٣٦، وينظر: قضايا اللغة في مقدمة ابن خلدون: ٦.
[٤] ينظر: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، رالف فاسولد: ٢٥٨.
[٥] جريدة البلاد، ١٩٥٧، واسطورة الادب الرفيع: ٥١.
[٦] أسطورة الادب الرفيع: ٤٩.
[٧] المزهر: ٤٠٢.
[٨] التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني: ١٩٩.

ألفاظ عدة والمترادفات عنده «ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق»[١]. وقد أثبت كثير من علماء اللغة هذه الظاهرة وهم الغالبية العظمى أمثال ابن جني (ت٣٩٢هـ) فقد ذكره في كتابه الخصائص في باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض مستدلاً به على وقوع الترادف بقوله: «وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به»[٢]، وقال بعض علماء اللغة «إنا للترادف واقع، وله فوائد، وهو قول كثير ممن ألف في هذا الباب كابن خالويه، والفيروزبادي، وغيرهم»[٣]. أما المنكرون لهذه الظاهرة أحمد ابن فارس (ت٣٩٥هـ) قائلاً: «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا: أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظهم فإنها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا: (سيف، وعضب، وحسام)[٤]. ولعلّ هذا الاختلاف بين علماء اللغة قد ولّد فجوة بينهم مما دعا إلى ظهور طائفة من علماء الاجتماع لا تعترف بهذه الظاهرة، فمنهم من يعبّر عن رفضه لها بجملة من الأسباب:

أ- كثرة المرادفات في المعنى الواحد: يذكر أحدهم « فللبعير مثلاً ألف اسم، وللأسد خمسمئة، وللعسل ثمانون، وللثعبان مائتان، وللسيف ألف، وللداهية أربعة آلاف، ويدعي بعض اللغويين أن هذه ليست مرادفات إنما هي تشير إلى أنواع مختلفة من الشيء الواحد، لكن من الصعب قبول هذا الرأي فليس من المعقول أن يكون هناك خمسمئة نوع من الاسود في جزيرة العرب»[٥]. ويرى الباحث أن هذا الكلام فيه نظر، ففيه شيء من المبالغة، إذ لم يصل عدد مرادفات الكلمة الواحدة إلى الآلاف كما زعم القائل بأنه ليس من المعقول أن يكون هناك خمسمئة نوع من الاسود في جزيرة العرب، ومن جانب آخر أن المرادفات هي صفات وليست أنواع كما ذكر، فالصفات تختلف عن الأنواع، فمثلاً الشك والريب، والقلب والفؤاد، فكلا المثالين يدلان على معنًى واحد. وبعد الفحص والتدقيق توصل الباحث إلى مدى تأثر علماء الاجتماع الواضح بعلماء الغرب أمثال: بلومفيد، فيرى "بلومفيلد" وهو من الذين رفضوا الترادف وأكدوا عدم وجوده، وإذا اختلفت الصيغ صوتيًّا وَجَبَ اختلافها في المعنى، وعلى هذا فلا ترادف، ويتَّفق "فيرث" مع "بلومفيلد" في هذه النَّظريَّة، وتعد المميزات الصوتية إحدى خصائص المعنى اللغوي، وإذا اختلفت المكونات الصوتية تغيَّر المعنى[٦]. ونخلص بنتيجة تخالف ما ذهب إليه علماء الاجتماع، وبعض النحاة القدماء والمحدثين، فضلاً عن علماء أوربا في عدم امكانية وجود الترادف بدليل لا يوجد تطابق بنفس المعنى بين «حامل وحبلى، فالأولى راقية مؤدبة والثانية مبتذلة. وإذا أمكن التبادل بين اللفظين في بعض السياقات فالترادف موجود، وهو موجود مع الكلمات التي نعجز عن بيان الفرق الدقيق في المعنى بينها، كما في يثب ويقفز، ويجري ويعدو، ومضيء ومنير»[٧].

ب- تعدد ترادف الالفاظ والمعاني: اعترض علماء الاجتماع على بعض الألفاظ المترادفة التي تحمل أكثر من معنى مما يؤدي إلى حصول لبس في فهم المعنى المراد، «فللخال مثلاً ثلاثون معنى، وللعين أربعون، وللعجوز ستون، وقد تعطي اللفظة معنيين متباينين فلا ندري أيهما مقصود»[٨]. ويرى الباحث أن هذا الكلام فيه نظر؛ وذلك لأن اللغة العربية لا تتعامل مع مفردات مترادفة أو غير مترادفة للوصول الى المعنى الحقيقي، وإنما تتعامل مع سياق متكامل يحمل قرائن لفظية وغير لفظية كلها تساعد في الوصول إلى المعنى المراد. فـ «الألفاظ اللغوية لها عدة معاني، ولا يحدد أحد معانيها إلا سياقها الواردة فيه، فإن لم ينظر في

---

[١] دور الكلمة في اللغة: ١٠٩.
[٢] الخصائص، ابن جني، ٣١٠/٢،حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت (د ت).
[٣] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي: ٤٠٥/١.
[٤] ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس: ٥٩
[٥] أسطورة الأدب الرفيع: ١٢٩.
[٦] ينظر: دور الكلمة في اللغة هامش ٧٤ – ص – ١١٦: ١٢٥.
[٧] علم الدلالة ٢٢٧: ٢٣٠.
[٨] أسطورة الأدب الرفيع: ١٢٩.

السياق نظرة كلية، وبناء عليه يتم تحديد المراد من اللفظ؛ فإن الخلل سيتطرق إلى تفسير تلك اللفظة؛ وبالتالي الوقوع في الإغراب في التأويل الذي يعد فسادا منهجيا»[١].

٢- ظاهرة التضاد: التضاد لغة من « الضد: هو كل شيء ضاد شيئا ليغلبه»[٢]، أما في الاصطلاح فهو: «المشترك يقع على شيئين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين كالجون وجلل، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين»[٣]. وهذه الظاهرة لم يتفق عليها القدماء من اللغويين واللسانيين، وعلماء الاجتماع، فمنهم مقر لها، ومنهم منكر لها، ولعلّ سبب الانكار هو

أ- إنّ هؤلاء بنوا حكمهم على أن استعمال العربية للتضاد هو من باب التنقيص بها والتعبير عن عجزها وقلة فصاحتها مما قد يسبب كثرة الالتباس في محاورات أهل العرب فيما بينهم، وما يعيب على هؤلاء القدماء أنهم أدخلوا في الأضداد ما ليس منها حقا، كالحروف والضمائر وبعض الأدوات النحوية والصيغ[٤]. وردّ ذلك أحد المحدثين بقوله إن «العربية تميل للأضداد؛ لأن من التعسف إنكار الظاهرة جملة»[٥]؛ فضلاً عن ذلك وجود السياق الذي يهدف إلى الوصول إلى معرفة المعاني المقصودة، ورفع اللبس في الفهم.

ب- تناقض المعاني: انكر علماء الاجتماع هذه الظاهرة لأنها « قد تعطى اللفظة في اللغة العربية معنيين متناقضين فـ(جون) يعني الأبيض والاسود، وقد تأتي بمعنى الأحمر الخالص، ويقول العربي: (أخال) فلا يدري السامع أهو شاك أم موقن؟ لأن الخيلولة تدل على الشك واليقين معًا»[٦]، وزاد على ذلك بعضهم بقوله: «إننا لنتحدى الذين يزعمون أن في اللغة أضدادًا، ونباهلهم بجميع كلمات اللغة العربية، أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد، فإن لم يفعلوا – ولن يفعلوا – فليس في اللغة تضاد»[٧]، والمتتبع للتراث العربي يجد لهذا الانكار جذورًا، إذ إنّه لم يأتِ من فراغ يذكر ابن دستوريه «فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضدُ للآخر لما كان ذلك إبانة بل تَعْمِيةً وتغطيةً، ولكن قد يجئ الشيء النادر من هذا لعلٍ»[٨]، وأنكره أيضًا ابن الانباري(ت٣٢٨هـ) بقوله: «أن ذلك كان منهم (أي العرب) لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند اتصال مخاطباتهم... فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطَب أيَّهما أراد المخاطِبُ»[٩]. ويرى الباحث أن في هذا القول نظر؛ لأن السياق هو الذي يحدد المعاني ويبين دلالاتها، ويكشف الالتباس.

ثالثًا: في تعدد الجموع للمفرد الواحد: مما لا ينكر ذكره أن كثيرًا ما يحوي هذا التعدد خروجًا عن الأصل المطرد وانتقاضًا للقياس في تكسير المفرد على بناء من أبنية التكسير، حتى لا يكاد يخلو بناء من أبنية التكسير[١٠]. يذكر سيبويه في هذا الباب: اعلم أن جموع التكسير أكثرها محتاج إلى السماع، وقد يغلب بعضها في بعض أوزان المفرد، وهو ما دعا العلماء إلى تكرار التنبيه إلى ذلك، ومحاولة حصر الجموع الخارجة عن الاصل ووصفها بالشذوذ أو القلة[١١]. وهذا القول فتح بابًا –لإنكار هذه الظاهرة أو تضعيفها– لمن جاء بعد سيبويه[١٢] إلى أن وصل الأمر إلى المستشرقين الذين وصفوها بالاضطراب والبلبلة، فقالوا: «إنَّ هذا التنوع لا يدل على شيء إلا أنَّه يدل على اضطراب وبلبلة»[١٣]. مما حذا بعلماء الاجتماع أن يبادروها بالرفض؛ والتأسف؛ لأنها تؤدي إلى كثرة

---

[١] نظرية السياق القرآني: ٢٨١.
[٢] لسان العرب، ابن منظور، حرف الضاد، ضدد، ج ٩.
[٣] المزهر، السيوطي: ١ / ٣٨٧، ٣٩٦، ٤٠٢.
[٤] ينظر: ظاهرة التضاد في اللغة العربية بقلم: أشرف اقريطب - منتدى مطر بيت المبدع العربي.
[٥] ينظر: التضاد في ضوء اللغات السامية، كمال ربحي: ٩.
[٦] أسطورة الأدب الرفيع: ١٢٩.
[٧] المشترك اللغوي د. شاهين ص ١٧٢ نقلا عن نصوص في فقه اللغة د/ يعقوب بكر ١١١/٢.
[٨] تصحيح الفصيح وشرحه: ٧١، وينظر: المزهر ٣٨٥/١.
[٩] الأضداد لابن الأنبارى ص ١.
[١٠] ينظر: الترخيم في التكسير، خالد بن ابراهيم النملة، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، مج١٥، العدد الثاني:٢٠١٣م، ص:٥٠.
[١١] ينظر: الكتاب:٥٦٨/٣.
[١٢] ينظر: المقتضب:١٩٥/٢، ١٩٧، ٢٠٠، شرح المفصل:١٥/٥، شرح الشافية:٩١/٢.
[١٣] ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية: صالح سليم الفاخري, الناشر: المكتب العربي الحديث ـ الإسكندرية, د. ط, د. ت: ٢٢٦.

الجموع من دون طائل، فضلاً عن فقدان القياس الذي تقاس عليه المفردة عند الجمع، فكأنه الأمر عشوائيًا يخلو من ضابطة تلزمه « فالعبد يجمع على عبيد وعباد وعبدون وأعبد وأعباد، وعِبدان...، وتأتي فوق ذلك صيغ جمع الجموع فيقال: أعابد ومعابد وأعبدة، وربما كانت هناك صيغ أخرى لا نعرفها مع الأسف»[١]. ويذكر ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) سبعة جموع لمفرد واحد، وهي:(نَاقَات، ونَاق، وأَيَانِق، و نِيَاق، وأَيْنُق، وأَوْنُق، ونُوق)، وكلها جمع لـ(نَاقة)[٢]. وقد عدَّ د.صبحي الصالح هذا التعدد ناتجًا من فوضى اللغويين في تحديد الفروق بين الجموع؛ إذ لم يوضحوا الفروق بين تلك الجموع[٣]، ويرى جملة من الباحثين المحدثين خلاف ذلك فقد أوضحوا بأن تعدد الجموع يؤدي إلى تحقيق أمن اللبس، فتجمع صيغة على بناء آخر؛ فرارًا من اللبس، وكذلك تعدد الجموع يفرق بين جمعي القلة والكثرة، وكذلك اختلاف اللهجات العربية تؤدي إلى تعدد الجموع للمفردة، فضلاً عن الدلالة على المعاني التي يحملها المفرد، فيكون لكل معنى صيغة من صيغ تلك الجموع[٤]. والذي يستحسنه الباحث الأخذ بمذهب جواز تعدد الجموع للمفرد الواحد؛ وذلك لأن اللغة العربية لغة فيها من الليونة والمرونة وتقبل المعاني الشيء الكثير، بحسب المقام والسياق الذي يفرضه النص، فضلاً عن ذلك أن هذه الظاهرة مذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، كقوله تعالى﴿وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾[٥]، وقوله تعالى ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٦]، وهنا وردت المفرد (سجد) بصيغتين من الجموع (سجّد وسجود)، ومنه أيضًا قوله الإمام علي (عليه السلام) «يَا إِخْوَتَاهْ!،إِ ِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ...»[٧]، وقد اقتصر على صيغة (إِخْوَة) على دلالة الأصحاب لا غير[٨]، وقوله في مورد آخر: «وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ البَلَاءِ»[٩]. صيغة (إِخْوَان) هنا استعملت بدلالات متنوعة، فقد وظَّفها بدلالة الرابط الاجتماعي أي بمعنى الأصدقاء والرفقاء والأصحاب[١٠].

رابعًا: زيادة الحرف على الكلمة لأجل التنغيم والزينة فقط: بيّن علماء الاجتماع أنه قد يضاف حرف على الكلمة من أجل الزينة أو التنغيم دون أن يكون له معنى، وربما أدت زيادة الحرف إلى عكس المعنى أحيانًا فالعربي قد يقول « ما منعك أن لا تقوم، ويعني به ما منعك أن تقوم»[١١]. ويرى الباحث خلاف ذلك لجملة من الأسباب:

أ- يخرج التنغيم لمعانٍ أراد المتكلم ايصالها، فتظهر منه جملة من العادات الادائية المناسبة للمواقف المختلفة، من تعجب، واستفهام، وسخرية، وتأكيد، وتحذير، وغير ذلك من المواقف الانفعالية في حدث كلامي معين[١٢].

ب- التنغيم وموسيقى الكلام لهما أثر نفسي يؤثران تأثيرًا مباشرًا لدى المخاطَب، بخلاف اطلاقه على وتيرة واحدة، «فالكلام عند القائه تكسوه الوان موسيقية لا تختلف عن (الموسيقى) الاّ في درجة التواؤم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تضع كلام متناغم

---

[١] أسطورة الأدب الرفيع: ١٢٩.

[٢] ينظر: ليس في كلام العرب: لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،م.ن،ط١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م: ١٨٤ ــ ١٨٥، وظاهرة تنوع جموع التكسير للمفرد الواحد في نهج البلاغة دراسة صرفيَّة دلاليَّة، عبد الزهرة حسين إبراهيم، وأسيل عبد الحسين حميدي، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج:٢٣، ع٢، ٢٠١٥، ص٥٦٤.

[٣] ينظر: دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت،ط١، ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠م:٣٣٥ ـ ٣٣٦، وظاهرة تنوع جموع التكسير للمفرد الواحد في نهج البلاغة دراسة صرفيَّة دلاليَّة: ص٥٦٥.

[٤] ينظر: دراسات لغوية في القرآن:٢١٧، ٢٠٤، ٢٢٦، ٢٢٠،دراسات في علم اللغة: كمال محمد بشر،الناشر: دار المعارف ـ القاهرة،ط٩، ٩٨٦ م:٢٣٨،معاني الأبنية:١٣٢ ـ١٤٩، ١٣٣، فقه اللغة المقارن:١١٠، دراسات في اللغة:٧٨،الدلالة الصوتية في اللغة العربية:٢٢٦، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي: حسين عباس الرفايعة، الناشر: دار جرير ـ عَمَّان، ط١، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦ م: ٩٦، ٩٩، وظاهرة تنوع جموع التكسير للمفرد الواحد في نهج البلاغة دراسة صرفيَّة دلاليَّة: ص٥٦٥.

[٥] سورة البقرة /٥٨.

[٦] سورة البقرة / ١٢٥.

[٧] شرح ابن أبي الحديد:٩ / ٢٣٢،

[٨] ينظر: منهاج البراعة، الخوئي: ١٠ / ٨٦، وظاهرة تنوع جموع التكسير للمفرد الواحد في نهج البلاغة دراسة صرفيَّة دلاليَّة: ص٥٦٥.

[٩] ابن أبي الحديد: ٧ / ٥٨.

[١٠] ينظر: نفحات الولاية: ٤/ ١٩٤، وظاهرة تنوع جموع التكسير للمفرد الواحد في نهج البلاغة دراسة صرفيَّة دلاليَّة: ص٥٦٥.

[١١] أسطورة الأدب الرفيع: ١٣٠.

[١٢] ينظر: رتيل مالمبرج، علم الاصوات، تعريب ودراسة: د. عبد الصبور شاهين، (بلام: ١٩٨٥م، مكتبة الشباب)، ص ٢٠٩، وماريو باي، اسس علم اللغة، ترجمة: د. احمد مختار عمر، (طرابلس: ١٩٧٣م، جامعة طرابلس)، ص ٩٣.

الوحدات والجنبات، وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات او تنويعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام، لأنّ الكلام – مهما كان نوعه – لا يُلقى على وتيرة واحدة، بحال من الاحوال»[١].

ت- وجود هذه الظاهرة في القرآن الكريم ومدونة التراث العربي، فقد ذكرها سيبويه واستعرض أمثلة عليها[٢]، وكذلك ابن جني بقوله «إنّك عندما تمدح انسانا وتثني عليه تقول: «كان والله رجلا ! فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها) أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك»[٣]. ومن العلماء من استخدم كلمة (النغمة) فالنسفي (٧١٠ هـ) يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاّ أن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[٤]: بعضهم يسكت عليه – قال- لأن المعنى قال يعقوب الله على مَا نَقُولُ من طلب الموثق وإعطائه وَكِيلٌ رقيب مطلع غير أن السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز، فالأولى يأن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله[٥].

يرد الباحث المثال الذي ذكره عالم الاجتماع الدكتور علي الوردي جملة وتفصيلاً ولا سيما مراده في: (ما منعك أن لا تقوم، ويعني به ما منعك أن تقوم)[٦] في أنهما وردا بمعنًى واحد بلا مبرر للزيادة. وهذا خلاف الصواب، والدليل على لك ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾[٧]، وفي مورد آخر قَالَ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾[٨]. وحاشا لله أن يكون حرف زائد، أو حشو في كلامه، لكن النفي لا هنا اشارة عن المنع أو الاضطرار في السجود كأن معناه قيل له: أيّ شيء اضطرك إلى أن لا تسجد، فليست "لا"، بحشو في هذا الموضع ولا صلة فتبين بذلك فسادُ قول من قال: "لا" في الكلام حشو لا معنى لها[٩].

المبحث الثاني

مسائل خلافية في النحو العربي

يرى كثيرٌ من علماء اللغة القدماء والمحدثين فضلاً عن بعض المستشرقين أن النحو العربي هو مادة معقدة تخلو من أي فائدة، ومادته موضوعة من لدن بعض النحاة الذين هدفهم التكسب والزلفى للملوك والسلاطين، وبعيد كل البعد عن التواصل والاتصال بين الافراد؛ إذ هو لا يمت بصلة بين التواصل الاجتماعي لتلبية الحاجات بين افراد المجتمع، ومن هنا انتقده كثير من علماء الاجتماع فضلاً عن بعض علماء الاجتماع من المستشرقين، ومن أهم الأمور التي انتقدوها، هي:

أولاً: في عقدة النحو العربي وفائدته

يرى الدكتور علي الوردي أن النحو العربي متعب وغير مفيد، فهم لا يهتم بتركيب الجملة وترابط المعاني فيها جل همه منصب على البحث وراء العامل الذي يجعل الكلمة منصوبة أو مرفوعة أو مجرورة، إذ اهتمامه يكون بالإعراب، ولهذا أسماه بعض النحاة بعلم الاعراب، ويذكر في موضع آخر والواقع أني كلما حاولت أن أقنع نفسي بوجود شيء من الفائدة في حركات الاعراب عجزت، وأرجح ظني أن الاعراب ليس سوى زخرفة لفظية لا طائل وراءها[١٠]. ويقول العالم الاجتماعي ضود – نقلاً عن الدكتور علي الوردي – إن الاعراب يصور عقلية بدائية ساذجة، وكلما تقدم الانسان في حضارته استغنى عن الاعراب في لغته[١١]، وأشار أحدهم إلى جملة من الامثلة تؤيد ما تقدم، فيقول: «فهم يقولون عن المنادى مثلاً إنه يجب أن يبنى على ما يرفع به إذا كان نكرة مقصودة... ولست أدري

---

[١] علم اللغة العام (الاصوات)، كمال محمد بشر: ٥٣٣.
[٢] ينظر: الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: ٢٢٠/٢.
[٣] سر صناعة الاعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني: ٩/١.
[٤] سورة يوسف، الاية: ٦٦.
[٥] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التاويل، عبد الله بن احمد النسفي: ٧٩/٢، والتنغيم ودلالته في القرآن الكريم، أحمد جاسم محمد: ١٧.
[٦] ينظر: أسطورة الأدب الرفيع: ١٣٠.
[٧] سورة الاعراف /١٢
[٨] سورة ص /٧٥
[٩] ينظر: تفسير الطبري:١٥٢/١.
[١٠] ينظر: أسطورة الأدب الرفيع:١٤٣- ١٤٦.
[١١] ينظر: أسطورة الأدب الرفيع: ١٦٠.

أيمتنع أحد عن الاستجابة لندائك إذا وجد فيه خطأ نحويًا، انك تناديه والسلام، وكثيرا ما يسمع الحمار النداء ويستجيب له»[١]. وهذا القول مردود جملة وتفصيلاً إذ إن سبب النداء قصد فرد من أفرادها والاتجاه إليه وحده بالخطاب، فتصير معرفة دالة على واحد معين، بعد أن كانت تدل على واحد غير معين، ولولا هذا النداء لبقيت على حالتها الأولى من غير تعريف، فكلمة "رجل" هي نكرة مبهمة، لا تدل على فرد واحد بذاته، وإنما تصدق على محمد وعلى كل رجل آخر، فإذا قلنا: "يا رجلُ سأساعدك على احتمال المشقة" تغير شأنها، ودلت على فرد معروف الذات والصفات دون غيره، هو الذي اتجه إليه النداء، وخصه المتكلم بالاستدعاء، فصارت معرفة معينة بسبب الخطاب، لا شيوع فيها ولا إبهام[٢]. وهنا كيف نفرقها عن النكرة غير المقصودة فوضع النحاة البناء على الضم لها، ووضع النصب للنكرة غير المقصودة؛ وبهذا يسهل التفريق، وإذا سلمنا بعدم حاجة الاعراب فكيف نفرق بينهما!، أما قوله إن الحمار يسمع النداء فيستجب فصحيح لكن أ يعرف المعنى والغرض من النداء؟ كأن يقصد الندبة، أو التخصيص، أو غير ذلك! بالطبع لا فهذه المسائل الدقيقة هي سر جمالية اللغة العربية.

والغريب من الأمر أن هذا العالم نفسه يناقض نفسه بعد صفحات قليلة فيقول: «عندما اتسعت الفتوح الاسلامية واختلط العرب بالعجم، أخذت السليقة العربية تفسد تدريجيًا وشاع اللحن فيها، وهنا ظهرت الحاجة إلى وضع قواعد تعصم اللسان من الخطأ»[٣]. وإذا تأملنا في هذا القول نستنتج أن هذا العالم الاجتماعي يؤيد ظهور النحو للقضاء على اللحن السائد. ويعجب الباحث كل العجب في من يقول إن الاعراب زخرفة لفظية لا طائل وراءها، وتناسى أن الاعراب هو يصون اللسان من خطأ في قراءة القرآن الكريم، ولن يتأتى ذلك إلا بوضع ضوابط وقواعد عملية للغة التي نزل بها القرآن الكريم ورويت بها السنة المطهرة، ولعلّ هذا المعنى نوّه إليه كثيرٌ من العلماء المحدثين[٤]، فضلاً عن علماء الاجتماع القدماء أمثال ابن خلدون فهو يرى أنه « لَمَّا فسَدت مَلَكة اللسان العربي في الحركات المُسمَّاة – عند أهل النحو– بالإعراب استنبطت القوانين لحفظها كما قلنا، ثم استمر ذلك الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستُعمل كثيرٌ مِن كلام العرب في غير موضوعه عندهم، ميولًا مع هُجْنَة المُستَعرِبين في اصطلاحاتهم المخالِفةِ لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللُّغوية بالكتاب والتدوين، خشيةَ الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشعر كثيرٌ مِن أئمة اللسان بذلك وأملوا فيه الدواوين»[٥]

فهل هذا يعدّ من قبيل الزخرفة اللفظية!، ولعل الباحث المنقر يجد أن عدم الاعتراف بالنحو سببه يعود إلى المستشرقين الذين نفوا علاقة اللحن بظهور النحو[٦]؛ ومرد ذلك يرجع إلى أنهم أرادوا أن يجردوا العرب والمسلمين من فضل وضع النحو لينسبوه إلى غيرهم من الأجانب كالآراميين[٧].

ثانيًا: في واضع النحو العربي: لم يتفق علماء اللغة على الواضع الحقيقي لعلم النحو، وقد تضاربت الآراء في ذلك ولكننا سنسط الضوء على آراء علماء الاجتماع وسنناقشها ونبين ما حصل الوهم أو الاشتباه فيه، وسنوجز ذلك بأهم الآراء التي ذكروها:

١- هناك من يرى أن «علي بن أبي طالب وحده وضع علم النحو»[٨]، وقد ضعّف عالم الاجتماع الدكتور علي الوردي هذا الرأي، فقال: « وقد شاعت هذه الرواية وانتشرت بين الناس حتى أصبحت في نظر الكثيرين من الحقائق التاريخية التي لا يجوز الشك فيها»[٩]، ولم يكتف عند هذا الحدّ، بل وضح الأسباب التي دعت الى شيوع هذه الرواية بين الناس، وقد أوعزها إلى سببين: «فهي

---

[١] أسطورة الأدب الرفيع: ١٤٦.
[٢] ينظر: الأساليب الإنشائية: ص٦٩.
[٣] أسطورة الأدب الرفيع: ١٦٦.
[٤] ينظر: المظاهر الطارئة على الفصحى: ١٢-١٣، الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة: ١٥٥، فصول في فقه اللغة: ١١٦٥، تيسير العربية بين القديم والحديث: ٢٩.
[٥] مقدمة ابن خلدون: ٣/ ١٢٦٨.
[٦] ينظر: العربية: ٢٣٦.
[٧] ينظر: الحضارة الاسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الاجنبية:٨٩-٩٠.
[٨] المفصل في تاريخ النحو العربي: ١/ ٣٩-٤٩.
[٩] أسطورة الأدب الرفيع:١٦٦.

من جهة تؤدي إلى إعلاء مكانة النحو بين العلوم، وهي من جهة أخرى تؤدي إلى مكانة الإمام علي بين الأئمة»[١]. والذي يرتضيه العقل أن المصطلحات النحوية بدأت بمراحل طويل حتى استوت فمن المحال أن يضعها الإمام علي وهو في عصر صدر الاسلام وقبل بداية الدرس النحوي؛ لأن ذلك مخالف لطبائع الأشياء في أنها تبدو عفوية ثم تنضج، فقد بدأت ساذجة إلى أن استوت واقفة على قدميها[٢]. ولهذا يستبعد الباحث أن يكون الإمام علي قد وضع تقسيمات النحو؛ لنها لم تنضج إلى في مرحلة متأخرة، ولكن يمكن القول بأن الإمام علي وضع اللبنة الأولى للنحو العربي لسبب ديني بحت ألا وهو خوفه على القرآن من اللحن.

٢- أغلب الروايات تشير إلى أن أبا الأسود الدؤلي وضع علم النحو[٣]، ولم يرتض بهذا القول أحد علماء الاجتماع، وردّ ذلك إلى انتهازية أبي الأسود الدؤلي قائلاً في ذلك « والمعروف عن أبي الأسود أنه كان انتهازيًّا من طلاب الدنيا»[٤]، وهذا خلاف الصواب فما وصل إلينا من كتب التاريخ تنقل خلاف ذلك، قال سعيد الافغاني «من يقرأ بإمعان ترجمة أبي الأسود الدؤلي في تاريخ ابن عساكر مثلاً، ثم يفكر في توارد أكثر المصادر على جعله واضع الأساس في بناء النحو لا يستبعد ذلك، فالرجل ذو ذكاء نادر، وجواب حاضر، وبديهة نيرة[٥]، وقد مدحه كثير من العلماء[٦]، والمتتبع الدقيق يجد أن رأي عالم الاجتماع قد تبناه المستشرقون قبله، فقد نفى كارل بروكلمان جهد أبي الأسود الدؤلي في وضع النحو وعدّه من الاساطير والخزعبلات[٧]، ونسب يوهان فك أن واضع علم النحو إلى غير العرب[٨]، وأيده في ذلك فون كريمر[٩]. لكن هذا القول جاء مخالفًا لما ذكره كثير من العلماء كمحمد بن سلام الجمحي(ت٢٣٢هـ)[١٠]، والزبيدي[١١]، والقفطي[١٢]، وغيرهم[١٣]، الذين أثبتوا ريادة أبي الأسود في وضع علم النحو. ومن هنا يتضح للباحث أن أبا الأسود الدؤلي له بصمة مهمة في وضع النحو؛ لكثرة من قال بذلك حتى كاد أن يكون اجماعًا عند العلماء المتقدمين، ولا سيما القرن الثالث الهجري[١٤]، وهذا خلاف ما يراه المستشرقون، وعلماء الاجتماع الذين بحثوا في اللغة.

ثالثًا: القرآن والنحو: زعم عدد من العلماء المحدثين[١٥] بأنّ للقرآن الكريم كثير من المخالفات للقواعد التي جاء بها النحاة[١٦]، وهذا المعنى لم ينفه علماء الاجتماع اللغوي، يقول أحدهم: «نحن لا نستطيع أن ننكر وجود مخالفات نحوية في القرآن، ولكن هذه المخالفات قليلة بالنسبة إلى الآيات الكثيرة التي تخضع لقواعد الاعراب خضوعًا تامًا»[١٧]، ويرى الباحث أن هكذا طرح مرفوض جملة وتفصيلاً بدليل أن القرآن الكريم هو المصدر الأساس في بناء علم النحو، لكن هؤلاء العلماء لهم مناهجهم ونظرياتهم الخاصة مما أدّى إلى اختلاف توجيهاتهم، فالخلل فيهم وليس في أئمة القراءة؛ لأن «أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردها قياس

---

[١] أسطورة الأدب الرفيع:١٦٦.
[٢] ينظر: مدرسة البصرة: ٣٢٤، وينظر: حركة تيسير النحو العربي في جهود الباحثين المصريين في العصر الحديث: ١٦.
[٣] ينظر: المفصل في تاريخ النحو العربي: ١/ ٣٩-٤٩.
[٤] أسطورة الأدب الرفيع:١٦٧.
[٥] ينظر: من تاريخ النحو:٢٧.
[٦] ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية:٧٧/١، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي: ١٨.
[٧] ينظر: تاريخ الأدب العربي:١٢٣/٢.
[٨] ينظر: تاريخ الأدب العربي:١٢٣/٢، وينظر: حركة تيسير النحو العربي في جهود الباحثين المصريين في العصر الحديث، رسالة ماجستير: ١٧.
[٩] ينظر: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية: ٩٠، وينظر: حركة تيسير النحو العربي في جهود الباحثين المصريين في العصر الحديث، رسالة ماجستير: ١٧.
[١٠] ينظر: طبقات فحول الشعراء:١٢/١.
[١١] ينظر: مراتب النحويين:٤٤.
[١٢] ينظر: إنباه الرواة: ١٤/١.
[١٣] ينظر: الصاحبي:١٠، والاصابة:٢٣٤/٢، المزهر:٣٤٥/٢.
[١٤] ينظر: مراحل التطور النحوي: ٤٦.
[١٥] ينظر من أسرار اللغة ص١٩٨_٢٨٤، عبد الله عبد الفادي، هل القرآن معصوم: ٦٨.
[١٦] ينظر: من أسرار اللغة: ٢٧٠- ٢٧٤، ١٩٨_٢٨٤.
[١٧] أسطورة الأدب الرفيع: ٥٦.-١٥٧.

عربية، وفشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها»[١]، يقول أبو حيان الأندلسي « ولسنا متعبدين في أقول نحاة البصرة...، ولا مبالاة بمخافة نحاة البصرة في مثل هذا»[٢]. والفاحص المدقق يجد أن الآراء التي تريد التشكيك بعصمة القرآن الكبير في نظر المسلمين سببها بعض المستشرقين، يقول المستشرق جولد تسيهر «من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه، مذهبا عقديا موحدا، متجانسا وخاليا من التناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرا، إلا أثارًا عامة، نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحيانا تعاليم متناقضة،....فلا يوجد كتاب تشريعي، اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا،على أنو نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن»[٣]، وغير ذلك من آراء المستشرقين المتطرفة التي تهدم أصل القرآن والتشكيك به[٤]. ولهذا تأثر بعض علماء الاجتماع المحدثين بآراء المستشرقين نوعًا ما، ومن هؤلاء العلماء الدكتور علي الوردي يقول الدكتور ومن أهم المسائل النحوية التي اعترضوا عليها:

١-في قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[٥] زعموا أنه رفع ما حقه النصب؛ حيث جاء اسم إنّ "هذان" مرفوعًا؛ لأن الألف علامة الرفع للمثنى. وإذا أمعنا النظر لوجدنا أنها جاءت على لغة من لغات العرب تلزم المثنى الألفَ في جميع مواقعه الإعرابية، وتعامله معاملة المفرد المقصور، مثل: رِضَا، عَصَا، ومن ذلك قول الشاعر[٦]:

فأطْرَقَ إطراقَ الشجاعِ ولو يَرَى مَسَاغًا لِنَاباهُ الشُّجاعُ لَصَمَّمَا [الطويل]

فقال: "لناباه". وهي لغة فصيحة مشهورة لكثير من العرب مثل: كنانة، وبني الحارث وخثعم، وزبيد، وبني العنبر، وبني الهجيم، ومراد، وعذرة[٧]. وبهذا لا نستطيع القول أن الآية المباركة قد خالفت القواعد النحوية؛ وذلك لأنها جاءت على لغة فصيحة من لغات العرب.

٢-في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [٨]، فقد ادّعو هنا مخالفة نحوية في رفع المعطوف على المنصوب[٩]، فكلمة الصابئون هي معطوفة على الذين اسم إن، والصواب في رأيهم أن يقال: (والصابئين)، كما ورد في سورتي البقرة والحج[١٠]. والغريب من الأمر أنه يجوز الرفع في هذا الموضع، فالصابئون مرفوعة بالابتداء، وخبرها محذوف فالرفع في هذه الآية محمول على التقديم والتأخير[١١].

٣-في قوله تعالى ﴿ والْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[١٢]. حيث يرون أنه يجب رفع (المقيمين)؛ لأنها معطوفة على الأسماء المرفوعة قبلها الراسخون، المؤتون، المؤمنون[١٣]، والغريب من الأمر أن هذه الشبهة سيبويه ومن تبعه من العلماء لكن المستشرقين حاولوا اخفاءها واظهار موطن اللبس فيها قال سيبويه: إن المقيمين منصوبة على القطع والتقدير أعني المقيمين[١٤]. تبعه في ذلك الزجاج والنحاس فقالا: منصوبة على المدح لبيان فضل الصلاة[١٥]. ومما يتضح أنه لا يوجد أي مخالفات في القرآن الكريم – لا قليلة – على حد تعبير علماء الاجتماع –ولا كثيرة – على حد تعبير المستشرقين، وإذا أردنا أن

---

[١] جامع البيان في القراءات، الداني،: ٥١/١.
[٢] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان،:٥٠٠/٣، ٤/ ٢٧١.
[٣] العقيدة والشريعة، جولد تسيهر،:٧٨-٧٩.
[٤] ينظر: تاريخ القرآن، تيودور نولديكه:: ٢/٣، والمستشرقون والقرآن الكريم، محمد حسين أمين،: ٢٢٠-٢٢١،
[٥] سورة طه/٦٣.
[٦] البيت للمتلمس في ديوانه ص٣٤؛ والحيوان ٤/ ٢٦٣؛ وخزانة الأدب ٧/ ٤٨٧.
[٧] ينظر: الكشاف ٢ / ٥٤٣، البحر المحيط ٦ / ٢٥٥.
[٨] سورة المائدة /٦٩.
[٩] ينظر: أسطورة الأدب الرفيع: ١٥٧.
[١٠] ينظر: ميزان الحق، القس فاندر: ٣٤٨، تاريخ القرآن نيولديكه:٢/٣.
[١١] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:٢٣٧/٦، وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية:١١٥.
[١٢] سورة النساء /١٦٢.
[١٣] ينظر: تاريخ القرآن، نيولديكه:٢/٣، أسطورة الأدب الرفيع: ١٥٧.
[١٤] ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢ / ٦٦
[١٥] ينظر: المعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢ / ١٠٧، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٤٠٥

نعزوا أي خطأ فإننا نعزوه إلى بعض المستشرقين الذين أرادوا النيل من القرآن الكريم ولغته، بخلاف من يرى أن الأخطاء تعود إلى القرآن[١]، أو إلى النحاة[٢].

الخاتمة

١- توصل الباحث إلى مدى تأثر علماء الاجتماع الواضح بعلماء الغرب في انكار ظاهرة الترادف، أمثال: بلومفيد، وغيره.

٢- أثبت البحث وجود ظاهرة الترادف لأن اللغة العربية لها مقاصد وغايات دقيقة فربما يشترك المترادفان في الوصف العام، لكنه يختلف في الأوصاف الجزئية.

٣- أثبت البحث أن اللغة العربية لا تتعامل مع مفردات مترادفة، أو غير مترادفة للوصول إلى المعنى الحقيقي، وإنما تتعامل مع سياق متكامل يحمل قرائن لفظية وغير لفظية كلها تساعد في الوصول إلى المعنى المراد، فالسياق هو الذي يحدد المعاني ويبين دلالاتها، ويكشف الالتباس

٤- خالف الباحث بعض علماء الاجتماع الذين انكروا تعدد الجموع؛ وذلك لأن اللغة العربية لغة فيها من الليونة والمرونة بحسب المقام والسياق الذي يفرضه النص، فضلاً عن ذلك أن هذه الظاهرة مذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، فضلاً عن وجودها في بطون أمات الكتب.

٥- أثبتت الدراسة تناقض بعض علماء الاجتماع في أهمية علم النحو وفائدته فتارة يرون أنه متعب وغير مفيد، وليس له علاقة بمفهوم المعنى والتواصل، وتارة يجعلونه سببا مهما للقضاء على فساد الألسن، فبه قواعد تعصم اللسان من الخطأ.

٦- اكتشف البحث أن بعض علماء الاجتماع أرادوا التشكيك بالقرآن الكريم في أنه يحمل بعض مخالفات، ومصدرهم في ذلك القول هم المستشرقون، وهنا أثبت البحث أنه لا يوجد أي مخالفات في القرآن الكريم لا قليلة على حد تعبير علماء الاجتماع، ولا كثيرة على حد تعبير المستشرقين، وإذا أردنا أن نعزوا أي خطأ فإننا نعزوه إلى بعض المستشرقين الذين أرادوا النيل من القرآن الكريم ولغته، بخلاف من يرى أن الأخطاء تعود إلى القرآن.

المصادر والمراجع

- إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.
- إبراهيم انيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.
- إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٨٨م.
- ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٩٥٩م.
- ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، ليس في كلام العرب،، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ١٩٧٩م.
- ابن خلدون، المقدمة، تح: علي عبدالواحد وافي، ط٣، القاهرة: د ت، دار نهضة مصر، د–ت.
- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٦هـ)، المقتضب، المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩٤م.
- أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت (د ت).
- أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، سر صناعة الاعراب، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.

[١] ينظر: أسطورة الأدب الرفيع: ١٥٧.

[٢] ينظر: تاريخ القرآن، نيولديكه:٢/٣.

- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه(المتوفى: ١٨٠هـ) الكتاب،، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٨م.
- أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م.
- أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، معاني القرآن، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري الملقب بالجاحظ، الحيوان(ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، ط:٢،
- أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة،
- أحمد بن فارس (٣٦٩هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٧م.
- أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان أثير الدين (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد – علي معوض، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.
- أحمد جاسم محمد، التنغيم ودلالته في القرآن الكريم، ملتقى القراءات والتجويد ورسم المصحف وضبطه، ٢٠١٢م.
- أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، د–ت.
- أشرف اقريطب، ظاهرة التضاد في اللغة العربية، منتدى مطر بيت المبدع العربي.

تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – على محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

- توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الاولى، ١٩٨٠م.
- تيودور نولديكه، تاريخ القرآن، تعديل فريد يريش شفالي، دار جورج ألمز، هيلد سهايم – زوريخ نيويورك، بإذن دار نشر ومكتبة ديتريش، ط١، ٢٠٠٤م.
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: الدكتور شوقي ضيف، وزارة الثقافة، ١٩٧٨م.
- جريدة البلاد، روفائيل بطي، بغداد – العراق، مقالة في ١٩٥٧م.
- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: محمد جاد المولى – محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، د–ت.
- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢م.
- جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمه الى العربية وعلق عليه: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، د. عبد العزيز عبد الحق، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة بمصر، ومطبعة المثنى ببغداد، د–ت.
- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- خالد بن ابراهيم النملة، الترخيم في التكسير، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، مج١٥، العدد الثاني:٢٠١٣م.

- د. عبد الكريم خليفة، تيسير العربية بين القديم والحديث، مجمع اللغة العربية الأردني، عمّان، ط ١، ١٩٨٦م.
- رالف فاسولد، علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ترجمة: إبراهيم بن صالح الفلاي، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٠م.
- رتيل مالمبرج، علم الاصوات، تعريب ودراسة: د. عبد الصبور شاهين، بلام، مكتبة الشباب، ١٩٨٥م.
- رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي المتوفى (ت٦٨٦هـ)، شرح الشافية ابن الحاجب، تحقيق الأساتذة، محمد محيي الدين عبد الحميد، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، دار الكتب العلمية ١٩٨٢م.
- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي – القاهرة – مصر، الطبعة السادسة – ١٩٩٩م.
- ستيف أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمَال محمد بشر، مكتبة الشباب – الجيزة، د–ت.
- سعيد الافغاني(ت١٤١٧هـ)، من تاريخ النحو، دار الفكر، د– ت.
- صالح سليم الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، الناشر:المكتب العربي الحديث . الإسكندرية، د. ط، د. ت.
- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، الناشر: دار العلم للملايين . بيروت، ط١، ١٩٦٠م.
- ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي:حسين عباس الرفايعة، دار جرير . عَمَّان، ط١، ٢٠٠٦م.
- عبد الزهرة حسين إبراهيم، وأسيل عبد الحسين حميدي، ظاهرة تنوع جموع التكسير للمفرد الواحد في نهج البلاغة دراسة صرفيَّة دلاليَّة، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج:٢٣، ع٢، ٢٠١٥،
- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٥، ٢٠٠١م.
- عبد العال سالم مكرم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة،١٩٩٣م.
- عبد القادر بن عمر البغدادي(ت١٠٣٠هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط:٤، ١٩٩٧م.
- عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ابن المرزبان، تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر، ٢٠٠٤م.
- عبد الله بن حمد الخزان، مراحل التطور النحوي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م.
- عبد الله عبد الفادي، هل القرآن معصوم، طُبعَ فى النمسا،Light of Life ، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- عبد الواحد بن علي (أبو الطيب اللغوي)، مراتب النحويين، تحقيــق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩.
- عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة، ٢٠٠٧م.
- علي الوردي، أسطورة الادب الرفيع، منشورات دار الوراق، بيروت، ط، ٢٠٠١م.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٨٣م.
- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، د–ت.
- علي محمد ردم بلّي، قضايا اللغة في مقدمة ابن خلدون، رسالة ماجستير، اشراف: مبارك حسين نجم الدين، جامعة السودان، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، ٢٠١٧م.
- فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربي، الناشر: دار عمار، ط:٢، ٢٠٠٧م.
- فون كريمر، الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية، ترجمة: مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي، د– ت.
- القرطبي: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٦٤م.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تحقيق: عبد الحليم النجار – رمضان عبد التواب، دار المعارف، ط:٥، ١٩٧٧م.

- كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٥م.
- كمال ربحي، التضاد في ضوء اللغات السامية، دار النهضة العربية، ١٩٧٥م.
- كمال محمد بشر، علم اللغة العام (الاصوات)، دار غريب، القاهرة: ٢٠٠٠م.
- كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، الناشر: دار المعارف . القاهرة، ط٩، د–ت.
- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: د. احمد مختار عمر، جامعة طرابلس، طرابلس: ١٩٧٣م.
- المتلمس الضبعي، ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م.
- المثنى عبدالفتاح محمود،نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- محمد بن سلام الجمحي (المتوفى: ٢٣٢هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة، د.ت.
- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
- محمد حسين أمين بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، دار الاندلس للنشر والتوزيع، د. ت.
- محمد خير الحلواني، المفصل في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ١٩٧٩.
- محمد عيد، المظاهر الطارئة على الفصحى، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م.
- محمود قدوم، مدرسة البصرة النحوية، ٢٠١٥م.

المصادر والمراجع

- الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، المكتبة الاسلامية، طهران، د–ت.
- ميزان الحق، القس فاندر، طبعة ١٩٢٣م،
- ناصر مكارم الشيرازي، نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة، بمساعدة مجموعة من الفضلاء: محمد جعفر الإمامي – محمد رضا الآشتياني – محمد جواد أرسطا – إبراهيم البهادري – سعيد داودي – أحمد القدسي، إعداد: عبد الرحيم الحمراني، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام – دار جواد الأئمة (ع)، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ.
- وداد ميهوبي، الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة، وسالة، ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٩–٢٠١٠.
- يعقوب بكر، نصوص في فقه اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، د_ت.
- يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- يوسف حسين السحيمات، حركة تيسير النحو العربي في جهود الباحثين المصريين في العصر الحديث، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٤م.
- يوهان فك، العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.